

المادة: دويلات المشرق الاسلامي

مدرس المادة: م.د مروان سالم نوري

المرحلة: الثالثة،

جامعة ديالى /كلية التربية الاساسية/ قسم التاريخ.

المحاضرة الاولى :اوضاع الخلافة العباسية واثرها في قيام الامارات والدويلات:

تعرضت الخلافة العباسية بدءاً من القرن الثالث الهجري الى سيطرة عناصر دخيلة استطاعت التسلل الى مواقع الحكم وفرضت هيمنتها على اجهزة الدولة المختلفة ، ولاشك ان هناك عوامل عديدة تضافرت على تمكين تلك العناصر من تحقيق الاهداف التي كانت تعمل جاهدة على تنفيذها منذ قيام الخلافة العباسية ، الا ان يقظة وحزم العباسيون الاوائل حال دون بلوغ تلك الاهداف.

والواقع ان تدهور مركز الخلافة في هذه المرحلة التي نحن بصدد دراستها ، انما تعود اسبابها الى ضعف الخلفاء العباسيين الذين تولوا المسؤولية انذاك ، وفشلهم في كبح جماح العناصر الدخيلة التي كانت تتطلع الى النفوذ والسلطان ،وتسعى الى تحقيق اهداف عنصرية او اقليمية على حساب الدولة العربية الاسلامية.

وقد عانت الخلافة العباسية ومنذ عهد المتوكل من طغيان القادة الاتراك الذين تعاضم نفوذهم في الدولة واحكموا سيطرتهم على مؤسساتها ، فكانوا (جند الحضرة)، ومكانتهم اشبه بالحرس الملكي الخاص ، وكان كل قائد من هولاء يدين له جندة بالولاء التام ، يأتزمون بأمره ،دون ان يكون له قاعدة شعبية او سند قومي،وعلى الرغم من المكانة الرفيعة التي حصل عليها القادة الاتراك ،والسلطات الواسعة التي كانوا يتمتعون بها الا انهم ظلوا يتنافسون فيما بينهم حول السلطة، فكثرت الخلافات بينهم ، حتى وصل الامر الى صراع دموي بين القادة الذين لم يتورعوا عن قتل بعضهم البعض من اجل المكاسب الشخصية وفرض السيطرة الكاملة على الخلافة والتحكم بمقدراتها ، وقد انعكست هذه الاوضاع على الجيش فكثرت حالات التمرد بين صفوف الجند بسبب عجز قادتهم عن دفع الرواتب نتيجة تناقص موارد الدولة وتدهور حاله الاقتصادية، كما ان الصراعات بين القادة الاتراك ادت الى اضعاف مركز الخلافة وعجزها عن السيطرة على الولايات والاقاليم التابعة لها والتي اصبح ارتباطها بالخليفة وبالحوكمة المركزية ضعيفا مما مهد لظهور الامارات الوراثية التي انفصلت انفصالا تاما او جزئيا عن الخلافة العباسية.

وفي نهاية الثلث الاول من القرن الرابع الهجري تعرضت الخلافة العباسية الى غزو البويهيين الفرس الذين دخلوا بغداد سنة (٣٣٤هـ)، وفرضوا هيمنتهم على الخلافة ومؤسساتها الادارية، وتجاوزوا على الخلفاء وسلبوا سلطاتهم .

وفي سنة (٤٤٧هـ)، دخلت الدولة الاسلامية تحت احتلال جديد لا يختلف عن الاول، فاصبح السلاجقة هم اصحاب السلطة الحقيقية في الدولة. دولة السلاجقة وبروز ينتسب السلاجقة إلى جدهم دقاق الذي كان وأفراد قبيلته في خدمة أحد ملوك الترك الذي كان يعرف باسم بيغو ، وكان دقاق في هذه المرحلة من تاريخ السلاجقة، مقدم الأتراك الغز؛ مرجعهم إليه، لا يخالفون له قولاً، ولا يتعدون له أمراً ، وكان سلجوق بن دقاق في خدمة (بيغو) كما كان والده من قبل، حيث كان يشغل وظيفة عسكرية مهمة تعني «مقدم الجيش» ، وفي هذا الوقت تذكر المصادر أن مظاهر التقدم وعلامات القيادة بدت واضحة عليه حتى إن زوجة الملك أخذت تنثير مخاوف زوجها منه لما رأت من حب الناس له وانصياعهم إليه، إلى الحد الذي أغرته بقتله وما إن عرف سلجوق بذلك حتى أخذ أتباعه ومن أطاعه وتوجه إلى دار الإسلام وأقام بنواحي جند قريباً من نهر سيحون، وفيها أعلن سلجوق إسلامه وأخذ يشن غاراته على الكفار الترك ، وبعد وفاة سلجوق في جند، خلف عدداً من الأولاد ساروا على سياسة والدهم في شن الغارات على الترك الوثنيين وبدلوا جهوداً كبيرة في حماية السكان المسلمين الأمنين من غاراتهم ، فازدادت قوتهم وتوسعت أراضيهم وقد أكسبهم ذلك كله احترام الحكام المسلمين المجاورين لهم ، فقد غزا ميكائيل بن سلجوق بعض بلاد الكفار من الترك فقاتل حتى استشهد في سبيل الله .

وفي سنة (٦٥٦هـ) احتل المغول بلاد الاسلام واسقطوا الخلافة العباسية، وذلك بسبب ضعف همم ملوك الإسلام وانحسار سلطان الخلافة: مقابل قوة هؤلاء التتر وشدة بأسهم واجتماع كلمتهم فقد ساهم في سرعة انتشارهم وسيطرتهم على مدن العالم الإسلامي وحواضره ضعف ملوك الإسلام في تلك الفترة بعامة، وانشغالهم عن الجهاد باللهو واللعب. وهذا المؤرخ ابن الأثير - يرحمه الله - ينعي على الإسلام وأهله، ويصف أحوال ملوكه قبيل وفاته بسنتين فيقول معلقاً على أحداث سنة ٦٢٨هـ ما نصه: "فإن الله تعالى ينصر الإسلام والمسلمين نصراً من عنده، فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا في نصرة الدين؛ بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته، وهذا أخوف عندي من العدو، وقال الله تعالى: {وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ... } ١ .

وليست أوضاع الخلافة العباسية ولا الخلفاء العباسيين بمعزل عن هذا الوضع المتردي؛ فقد انحسر سلطان الخلافة وانكمشت حدود العباسيين، واستقل غيرهم بالسلطة في حكم أجزاء من العالم الإسلامي، وهو أمر لم يكن سائغاً في ظل حكم الدولة الأموية، هذا فضلاً عن اشتغال الخلفاء العباسيين بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات .

هذه الحقائق يجعلها لنا ابن كثير عليه رحمة الله في محاولة منه لتلمس أسباب نهاية الدولة العباسية على أيدي التتر فيقول: "ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار، فإنه خرج عن بني العباس بلاد المغرب ... وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر وتداولتها الملوك دولا بعد دول حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات ،

ويقول "الكتبي" في وصف آخر خلفاء بني العباس وما كان عليه من ضعف الهمة والاشتغال بما لا ينبغي الاشتغال به: "كان المستعصم متدينا متمسكا بمذهب أهل السنة والجماعة على ما كان عليه والده وجمده، ولم يكن على ما كانوا عليه من التيقظ والهمة، بل كان قليل المعرفة والتدبير والتيقظ، نازل الهمة محبا للمال، مهملا للأمر يتكل فيها على غيره.

لقد تعدد أسباب سقوط الدولة العباسية، فقد تناول عليها الزمن وأدركتها الشيخوخة، وبدت عليها مظاهر الإنهيار قبيل حملة هولاءكو، وكانت جذور العنف تمتد في جسم هذه الدولة قبل ذلك بمدة طويلة لأسباب كثيرة يأتي بينها بإذن الله تعالى من أهمها:

١ . غياب القيادة الحكيمة: لم تكن شخصية الخليفة المستعصم بالله تمثل القيادة الحكيمة الراشدة، بل كان ضعيف الشخصية ولم يكن الرجل المناسب في المكان المناسب، لقلة خبرته وعدم إهتمامه بأمر دولته، ففي الوقت الذي كانت الأخبار تصل إليه تباعاً باقتراب جيوش المغول، لم يتخذ الاستعداد الكافي لمواجهة قبل أن يستفحل خطرها (٣)، لم يكن على مستوى من التيقظ والهمة، بل كان قليل المعرفة والتدبير والتيقظ، نازل الهمة، محباً للمال،

٢ . إهمال العباسيين لفريضة الجهاد:

إن أخطر العوامل التي أسقطت خلافة العباسيين إهمالهم لفريضة الجهاد، فبعد المعتصم المتولي أمور الدولة سنة (٨٣٣هـ) لم نسمع عن معارك ذات شأن قامت بها الدولة، ولم يكن مبدأ ((الجهاد الدائم)) حماية لهذه الدولة المترامية الأطراف أحد أركان السياسة العباسية، لقد تفوقوا في مشاكل الدولة الداخلية، فحصرتهم مشاكلها وماتوا ببطء، ولو أنهم وجهوا طاقة الأمة نحو ((الجهاد)) ضد الصليبيين، لتغير أمر الحركات الهدامة التي قدر لها أن تظهر وتنتشر، وذلك أن هذه الحركات لا تنتشر إلا في جو مليء بالركود والفساد والمناخ الوحيد الصالح للقضاء عليها هو المناخ القتالي الذي يكشف المعادن النقية، ويذيب المعدن الرخيص، لقد كانت الحاجة الإسلامية ملحة إلى ضرورة رفع راية الجهاد، وكانت الدولة الإسلامية التي تعرضت للإنشقاق والتمزق تحتاج إلى هذا الصمام ليحميها من جو السكوت والاستسلام، لكن العباسيين غزوا في عقر دارهم فذلوا، ولم يرفعوا راية الجهاد ضد الغزو الخارجي،

٣ - إنعدام الوحدة السياسية في العالم الإسلامي:

بدأ الضعف يتسرب إلى جسم الدولة العباسية المترامية الأطراف في العقود الأخيرة من القرن الثاني للهجرة، الثامن الميلادي، عندما بدأت بعض الولايات البعيدة عن مركز الدولة في بغداد تنفصل مكونة دولاً مستقلة وتعجز الخلافة عن إعادتها للسيطرة المركزية فقد تأسست دولة الأدارسة أقصى المغرب عام ١٧٢هـ . ٨٠٠م ثم قامت الدولة الفاطمية على إنقاض دولة الأغالبة في تونس عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م وفي مصر قامت الدولة الطولونية عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م، أعقبها الدولة الإخشيدية عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م وفي عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م استولى الفاطميون على مصر وجعلوا القاهرة عاصمة دولتهم، وهكذا خرج المغرب الإسلامي ومصر بشكل تدريجي من حيث الزمان والمكان عن نطاق الدولة العباسية، وظهرت خلافة جديدة تسيطر على النصف الغربي من العالم الإسلامي وتسعى للسيطرة على النصف الشرقي الذي أصابه من أصاب النصف الأول من حيث قيام الدول المستقلة، فقد قامت الدولة الظاهرية في خراسان عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م وتبعها الدولة الصفارية عام ٢٥٤هـ/٨٦٧م، ثم غلبت على المنطقة الدول السامانية التي تأسست عام ٢٠٤هـ/٨١٩م في بلاد ما وراء النهر ثم امتد نفوذها لتشمل جميع البلاد التي كانت تتبع للدولة الصفارية، وكان نفوذ الخلافة العباسية يتحول من سلطة سياسية إدارية روحية إلى سلطة روحية فقط، ولم يبق للخليفة سوى ذكر اسمه في خطب الجمعة متبوعاً باسم السلطان الغالب على البلاد، ويعود السبب الرئيسي في ضعف الخلافة العباسية وتلاشي سلطتها إلى أسباب كثيرة ليس هنا مجال بحثها، وقد تمكن الأتراك في عهد المعتصم (٨١٨ - ٢٢٧هـ)، وكانت لهم حظوة في عهده وقربهم وأسند لهم المناصب العليا في مركز الدولة والولايات، واعتمد عليهم في حراسة قصره، حتى تطاولوا على الناس وكثرت شواكي الناس من ظلمهم في بغداد، فبنى لهم المعتصم مدينة سامراء وجعلها عاصمة لهم ومن حوله حاشيته من الأتراك، وزاد نفوذهم وصاروا وحدهم المتسلطين على أمور الخلافة والدولة حتى أصبحوا هم الذين ينتخبون الخليفة الذي يريدون، يعزلون من لا يوافق رغباتهم وأهوائهم، وفي عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م استولى البويهيون الشيعة على العراق وأضافوه إلى دولتهم التي تأسست قبل ذلك في فارس، وصاروا هم المتسلطين على شئون الخلافة وتعسفوا في معاملة الخليفة حتى أنهم عذبوا بعض الخلفاء وسجنوا بعضهم، وقتلوا البعض الآخر، وكان بإمكانهم القضاء على الخلافة العباسية والدعوة للخلافة الفاطمية في العراق وباقي المشرق الإسلامي خاصة بعد إستيلاء الفاطميين على مصر، لكنه لم يفعلوا ذلك ليس حفاظاً على الخلافة العباسية، بل حفاظاً على سلطانهم ودولتهم من أن تزول لصالح الفاطميين، الذين تمكنوا من بسط سيطرتهم على بلاد الشام

٤. ضعف الجيش العباسي: في أواخر عهود الخلافة العباسية، بدأ التفكك يدب في كيان الدولة، وبدأت الولايات تنعزل أو يستغل بها ولايتها جزيماً أو كلياً، فينتبه خليفة ويهمل **اخر**.

- (١)- سورة الانفال، الآية ٢٥ .
- (٢)- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤٩٧/١٢، ٣٦١،
- (٣)-العودة:كيف دخل التتر بلاد المسلمين (ص: ٣٩)
- (٤)- ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/١٩٥ .
- (٥)- ابن شاکر الکتبی: فوات الوفیات ٤٩٦/١ نقلًا عن المغول في التاريخ دز الصیاد ص٢٥٢ .
- (٦)- الصلابي، المشروع الإسلامي لمقاومة الغزو الصليبي (ص: ٢١)